المسألة اللغوية في إفريقيا في ظل ملامح السياسة اللغوية الاستعمارية الجزائر أنموذجا

The linguistic issue in Africa in light of.
the features of the colonial linguistic policy
Algeria is a model.

د. درقاوي كلتوم
مختبر اللغة والتواصل- المركز الجامعي أحمد زبانة - غليزان
derkaouirelizane48@gmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2020/10/07	2020/10/14	2020/12/01

مُلَخَّصُ البَحْث

لا جرم في أن المسألة اللغوية في أفريقيا تحتاج إلى دراسة واستقراء للوضع الحالي الذي يدق ناقوس الخطر، مما يستدعي الإسراع لكشف الأوراق وقراءة الواقع اللغوي بعين الصواب من أجل حلول عملية لاحتواء الأزمة.، وتأتي هذه الورقة أساسا بعد استقراء الوضع اللغوي في أفريقيا والجزائر تحديدا إلى الوقوف على السياسات اللغوية الاستعمارية لهدم اللغة الرسمية ،وتوسيع الهوة بين اللغة الأصلية وناطقيها. والوقوف على ذات الصراع وكيفية التعايش الحتمي معه ووضع حلول للوضع الراهن الذي يقضي بضرورة تسويغ سياسة لغوية، تعمل على تنظيم استخدام الثالوث اللغوي في الجزائر، حسب ما تقتضيه الحاجة لكل لغة بما يحافظ على الهوية ويحمي البلاد من التشتت والتمزق اللغوي،

الكلمات المفتاحية: الانسجام الثقافي، الهوية اللغوية، السسويو تاريخية، الخارطة اللغوية..

Abstract

Alarm, which calls for speeding up papers and reading the linguistic reality with the right eyes in order to find solutions to contain it. the crisis. This paper comes mainly after extrapolating the linguistic situation in Africa and Algeria specifically to stand for the colonial linguistic exchange to demolish the official language, and broaden the picture between the original

Language and the speakers. And standing on the same compatibility with alternative programs to the current situation in Latin America, and resorting to systems and languages in Algeria as needed. Each language preserves its identity and protects the nation from linguistic fragmentation and disruption

Key words: Linguistic map. a foreign language. Cultural harmony.

مقدمة:

لاشك أن الدراسات الإنسانية والتاريخية لحياة شعب وأمّة تتطلب الإحاطة بجوانب إيديولوجية تُعدّ اللغة أبرزها، فاللغة هي عصب التواصل الإنساني والوعاء الحامل لمفاتيح الوعي البشري، وبطاقة الهوية التي تمنح الكائن الإنساني الانتماء والفكر والجنسية والثقافة. فباكتساب الإنسان لأكثر من لغة وتسامحه اللغوي معها مدعاة لتعدد مرجعيته الفكرية وهويته الحضارية، وتمزق الأوصال الرابطة بينه وبين بني جلدته لترسخ في ذهنه ثقافة اللغة الثانية المكتسبة.

وتعاني الشعوب الأفريقية. اليوم والجزائر تحديدا من نزيف لغويّ يغذي الصراعات ويؤسس لطبقية لغوية تتبع لغة المحتل الفرانكفونية وثانية تتحدث الأمازيغية وتطالب بأحقيتها في السيادة والتعليم وثالثة تحافظ على ما تبقى من حق الفصحى المسلوب في عقر دارها في ظل العنف أو الهجران التام المتمظهر على ألسنة أبنائها المتعلمين وغير المتعلمين جراء سياسات لغوية ضاربة للعربية، وتقويض الوضع اللغوي في الجزائر من قبل الاستعمار الغاشم.

ويسعى هذا البحث الى الوقوف على تأثيرات السياسة اللغوية الاستعمارية على توجيه المشهد اللغوي الجزائري لما هو عليه في الوقت الراهن من خلال الإجابة عن إشكالات جوهرية تتمثل في: **إلى أيّ حدّ نجحت السياسية الاستعمارية في تغيير المنحى اللغوي عبر آليتها السوسيوثقافية؟ وما تأثيرات هذه السياسة في رسم الخارطة اللغوية في الجزائر"**؟وقد سبق البحث في الموضوع من جوانب مختلفة من قبل شلة من الباحثين نذكر منها دراسة خولة طالب الإبراهيمي بعنوان الجزائريون والمسألة اللغوية .

المسألة اللغوية في افريقيا :

تعد أفريقيا من أكبر القارات التي تتسم بتنوع لغوي فريد هائل يصل إلى" ألفين لغة ، وبناء على التقسيم الرباعي لأكبر، الفصائل اللغوية الكبرى في القارة السمراء، لتوصلنا إلى أنّ":[1]

1 - أسرة نيجر – كونغو: وتشكل أكبر عائلة في العالم مع ما لا يقل عن 1436 لغة (وحوالي 400 مليون متحدث) ، تتضمن 1436 لغة (بما في ذلك 500 من عائلة البانتو) ويسود استعمال هذه اللغة في السنغال، دول غرب أفريقيا، جمهورية إفريقيا الوسطى، بالإضافة إلى عديد من المناطق في وسط القارة وجنوبها.

2 –الأفروالآسيوية: 371 لغة: وهي المجموعة الوحيدة التي يتم استعمالها خارج افريقيا ويبدو جليا أنها واضحة من تسميتها وتنقسم هذه الشعبة عادة إلى ستة فروع متميزة: التشادية والبربرية والمصرية والسامية، كوفيتيك و أوموتيك .تقع جميع هذه اللغات في شمال القارة، وتصل إلى خط الاستواء فقط في تنزانيا .

3 - **النيلية الصحراوية: 196 لغة**: يتم تصنيفها في هذه المجموعة لغات ثلاث عائلات مستقلة، وهي سونغاي (مالي - النيجر) والصحاري (تشاد - السودان) وكولياك (تضم ثلاث لغات في أوغندا) ، وعائلة رابعة تتكون من ستة فروع: مابان (تشاد - السودان)، الفور (السودان)، وسط السودان (الكاميرون، السودان، أوغندا، جمهورية الكونغو الديمقراطية)، بيرتا (السودان - إثيوبيا)، كوناما (إريتريا) وفرع سادس، المركز الأساسي نفسه يضم أربعة فروع بما في ذلك النيلية (السودان وكينيا وأوغندا وتنزانيا.[2]

4 - والخويسان في جنوب القارة: 35 لغة: بلا شك أصغر اللغات في إفريقيا .في الوقت الحاضر، لا يوجد سوى حوالي ثلاثين لغة تنتمي إلى هذه العائلة، واختفت معظم لغات الخويسان أو أنها في طريقها إلى الاختفاء .(تقع هذه اللغات في جنوب القارة: في بوتسوانا وناميبيا على وجه الخصوص، بالإضافة إلى بعض الجيوب في البلدان المجاورة: شمال جنوب إفريقيا وجنوب أنغولا وزامبيا وغرب زيمبابوي ولغتين معزولتين يتم التحدث بهما في تنزانيا[3] .

وعلى الرغم من هذا الكم الهائل من اللغات والتنوع اللغوي الذي إلا أن معظم دول قارة أفريقيا لم تستطع وضع سياسة لغوية ناجحة تمكنها من الحفاظ على الثراء اللغوي الذي تتسم به القارة والذي يحمل مخزونها الثقافي والحضاري، أو مخزون الجنس البشري بأكمله .

ويذهب جوتام نايك Gautam Naikب في بحثه المعنون بـ (أمّ اللغات)، في صحيفة The Wall Street journal، خلص فيه إلى ما تشير إليه دراسة جديدة "أنّ اللغة التي يتحدث بها البشر الإفريقي، في وقت مبكر بين 50.000 و 70.000 سنة مضت، قد ساهمت في نجاح التطور للجنس البشري... ويستند في أبحاثه على الفونيمات، والوحدات المميزة للصوت، مثل حروف العلّة، ونغمات الحروف الساكنة"[4].

غير أن إطلالة عامة على الواقع اللغوي في أفريقيا يجد أن دولها 53 لا تزال تحافظ على الإرث الاستعماري في التعامل اتجاه لغاتها الأصلية إذ أن هناك 10 دول أفريقية من أصل 53 دولة تعترف برسمية لغات افريقية منها العربية، لاشك أن هذا الإقصاء المدروس للغات الرسمية في القارة السمراء له أسباب عديدة أبرزها العامل السوسيو تاريخي الذي عانت منه القارة والاستعمار البريطاني والفرنسي الذي هيمن على هوية القارة قبل ثرواتها والنخب الثقافية التي سيرت بلدان الافريقية بعد الاستقلال ولم تستعجل بوضع سياسات لغوية لإحياء لغاتها وتفعيلها على لسان أبنائها، وتعد الجزائر أحد البلدان الأفريقية التي لا تزال تعاني من آثار السياسات اللغوية الاستعمارية التي سعت الى تحطيم هويتها اللغوية وقتل لغتها من خلال تدبير محكم .

ملامح السياسة اللغوية الفرنسية في الجزائر:

يشكل الاستعمار الفرنسي ومخططاته الشنيعة السبب الرئيس المؤدّي إلى الواقع اللغوي المعقد من خلال سلب الهوية الوطنية وإفراغها من محتواها، التي تشكل اللغة أبرز مظاهرها، إذ أن تهميش العربية بين أهلها هو انتهاج لسياسة استدمارية تستهدف الركيزة اللغوية التي لازالت آثارها سارية إلى يومنا هذا ومن هذا المنطلق **ماهي ملامح السياسة اللغوية الفرنسية في الجزائر؟**

قبل الولوج إلى السياسات اللغوية في العهد الاستعماري كان لابد من الإشارة إلى أن مصطلح السياسة اللغوية كما عرفه الباحث لويس جان كآلفي"**Louis Jean Calvi**" يعني "مجموعة من الاختيارات الواعية المتعلقة بين اللغة والحياة الاجتماعية وبالتحديد بين اللغة والحياة والوطن"[5] ويشير التعريف إلى أن السياسة اللغوية، تُعدّ منهجية مدبرة إزاء وضع لغوي في مجتمع ما بالنظر إلى كل ما يتصل به من أهداف سلطوية، أو مرامٍ سياسية قد تكون مدعاة للاستقرار والتفاهم بالنظر إلى الوظيفة الاجتماعية للغة ومنزلتها في ترسيخ الهوية وتحقيق التقارب والانسجام الثقافي الفكري والقومي لمجتمع ما،أو لفرض لغة أخرى تكون سببا في تفرقته ومسخه حضاريا وفكريا.

وفي السياق ذاته يمكننا القول إنّ مفهوم السياسة اللغوية هو مفهوم أنطولوجي بالدرجة الأولى كائن وموجود، وقديم قدم الاستعمار بشتى أنواعه، قبل أن يلج مصطلحا شرعيا في كتب اللسانيات التطبيقية تحت هذا المصطلح بعينه– السياسة اللغوية - فقد مارست الدول الاستعمارية قديما والاستعمار الفرنسي بوجه خاص سياسات لغوية على مستعمراتها ففرضت لغتها من خلال مشاريع تقضي بترسيخ لغة المستعمر وسلب هويات الشعوب التي تبدأ من تغريب لغتها وطمس هوياتها وممارسة شتى أنواع العنف الثقافي حتى بعد الاستقلال حيث أصبحت تصنف الدول المستعمرة حسب لغة المستعمر دول الفرانكفونية أي الناطقة بالفرنسية وأخرى كومنولث أي ناطقة بالإنجليزية .

1-ملامح السياسة اللغوية الاستعمارية في الجزائر أثناء فترة 1830-1962:

أ-سياسة الإقصاء ومشروع التطويع اللغوي في الجزائر:

لا شك أن الاستعمار الفرنسي قد مارس جميع أنواع القهر والاضطهاد على أبناء الأمة الجزائرية، غير أن جرائمه الثقافية والفكرية تبقى الأخطر في كل الأحوال لنتائجها الممتدة إلى وقت لاحق بفعل السياسات الثقافية والتخطيطات اللغوية المسطرة والمدبرة، لهز الكيان الهوياتي للدولة الجزائرية على المدى البعيد، فتبقى مرتهنة متخبطة في رواسب الاستعمار الغاشم تبحث عن سيادتها الثقافية المفقودة وهويتها اللغوية المسلوبة من خلال مواصلة مشروعه الاستعماري بثوبه الحداثي حتى بعد الاستقلال، وممارسة شتى أنواع الهيمنة اللغوية والفكرية والثقافية وتكريس فكرة الثقافة والحداثة والتحضر للمركز القوي المتمدن، بل وأكثر من ذلك من خلال السعي إلى تسويغ وتعشيش التبعية وإقباعها في القاع الفكري للمثقف والمواطن الجزائري، فيرى لغته بعين التخلف وينساق إلى استخدام الفرنسية باعتبارها رمزا للحضارة والتقدم.

عود على بدء إن الحديث عن مثل هذه الموضوعات تتطلب التتبع التاريخي للمسألة اللغوية والصراع اللغوي في الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي وبعده، ويتفق أغلب المؤرخين على أن الصراع اللغوي الناتج عن السياسات الاستعمارية من أجل تحطيم اللغة العربية وطمس الهوية الجزائرية قد بدأ مع الاستعمار الفرنسي الذي يعدّ الاستعمار الأخطر على الإطلاق الذي شهدته البلاد في وقت مضى ولا زالت آثاره اليوم سارية وممتدة، تؤثر على عجلة التنمية في قطاعات ومناحٍ حساسة تُمثّل المسألة اللغوية أبرزها .

إن الأتراك وعلى الرغم من تواجدهم الطويل في الجزائر لم يعملوا يوما على استبدال اللغة والثقافة العربية باللغة والثقافة التركية، عدا ما تسرب من اللغة التركية إلى العربية بفعل الاحتكاك والتثاقف الطبيعي بين اللغات، فلا نكاد نجد سياسة تركية تقضي بهدم ثقافة وبناء أخرى على حساب الثقافة الأصلية لسكان البلد[6] المستعمر فقد كانت"الدولة العثمانية في الجزائر أداة استهلاك وليست أداة إنتاج"[7](حلوش،2013 ، ص:26) لا تسعى إلى إفراغ الأمة من هويتها وثقافتها.

وقد وعى الاستعمار الفرنسي في وقت مضى أن الاحتلال الحقيقي للجزائر لا يكون بالقوة فقط في حين أن هناك شعبا مثقفا تجمعه اللغة الحاملة لثقافته وحضارته ودينه، هذه اللغة التي نزل بها دستوره الشرائعي الذي لا يحيد عنه مواطن جزائري، والّذي يمثل في الوقت نفسه مصدر اتفاق الأمة ما إن اختلفت.

وقد سعى ذات التخطيط إلى تحطيم هذا المقوم فقد صّرح الجنرال دوتبول **De Beaufort dotpole** وزير الحرب سابقا بقوله "إن أحد الوسائل البناءة للوصول إلى السلم الكامل في الجزائر هو في نشر وتوسيع مجال معرفة اللغة الفرنسية لدى سكان الأهالي"[8] وفي تصريح آخر له في سنة 1848 يقول فيه "إنه بإمكاننا البدء حاليا جديا على الأقل في المدن والغزو الأخلاقي عن طريق التربية والتعليم والحاجز القائم بيننا وبينهم ليس صعب الاختراق وسيتقلص يوما بعد يوم ليزول في نهاية المطاف عندما تتكلم الأجيال القادمة اللغة الفرنسية معنا "[9]، وقد كان هدف الفرنسيين من ذلك تفريق الشعب والتشكيك في هويته من خلال العمل على خلق ازدواجية الشخصية الثقافية، تبعا لازدواجية اللغة المتحدث بها فقد كان إيمانهم قبل كل شيء أن"إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح هناك لغة قومية والعمل الجبار الذي يترتب عليها انجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي بالتدريج إلى أن يقوم مقام اللغة العربية بينهم الآن"[10].

وبالفعل بدأت فرنسا بتنفيذ مخططاتها الشنيعة لاحتلال الجزائر فكريا فكانت اللغة هي المدخل الرئيس والمجال الحيوي لإحداث الهزة القوية إنها معركة بدأت بالاحتلال، وكانت اللغة منطلقها واستمرت ولم تتوقف حتى بعد رحيل المحتل[11]من أجل القضاء على العربية من خلال سياسة لغوية تفضي على المدى البعيد إلى:

1-ترسيم اللغة الفرنسية محل العربية في جميع مناحي الحياة .

2-خلق صراع لغوي وثقافي وعرقي بين الجزائريين الامازيغ والجزائريين العرب .

3-خلق التعدد الثقافي واللغوي من خلال خلق ازدواجية ثقافية تبعا لازدواجية اللغة المتحدث بها فرنسية – عربية.

4- جعل الشعب الجزائري شعبا مهمشا لا يتقن أي لغة لا لغته العربية ولا الفرنسية، إضافة إلى دفعه للمستوى الشفوي حتى تصير هي اللغة الغالبة وإحلال الدارجة على استعمال الفصحى[12]

ب. تسّييس الوضع اللغوي في الجزائر:

أيقن الاستعمار الفرنسي أن اللغة العربية هي إحدى أبرز مقومات الشخصية الجزائرية، وأن استمرار حياة هذه اللغة هو الحفاظ على الشخصية الوطنية للجزائريين وهذا ما يقف عائقا أمام تحقيق سياساته الاستيطانية خاصة وأن استلاب الهويات للشعب الجزائري هو ملاذه للسيطرة على الأمة الجزائرية أرضا وشعبا وتفرقتها، فعمل على إلى إحلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة العربية حتى ينسى الجزائريون بمرور الزمن لغتهم العربية وثقافتهم القومية ويستبدلونها بأخرى فرنسية، وحتى تنقطع جميع الروابط التي تصل الجزائر ماضيا وحاضرا ومستقبلا بثقافتها العربية الإسلامية وفصلها عن شقيقاتها في المغرب والمشرق العربيين، فقد عمد الاستعمار إلى سن قوانين وتعليمات للقضاء على العربية من خلال سياسة لغوية تقضي بفرنسة التعليم والإعلام والقضاء على المخطوطات العربية "كما عمدت الإدارة الفرنسية إلى تقسيم اللغة العربية إلى ثلاث لغات لا قيمة لها ويمكن إهمالها في التعليم واعتماد الفرنسية بديلا حتميا عنها"[13].

أ-عربية عامية يستعملها الشعب، وهذه لا قيمة لها ومن ثم ليست مادة صالحة للتعليم في المدارس.

ب- عربية فصحى لغة القرآن، وهذه مثلها مثل اللغتين اليونانية واللاتينية وتعتبر لغة ميتة لا تواصل بها ولا قيمة لها.

ج- عربية حديثة وهي معروفة بصورة باهتة في الجزائر؛ لأنها نتاج بعض المتعلمين وهي في الحقيقة لغة أجنبية وأداة قومية للقومية العربية ولذلك يجب أبعادها عن برامج التعليم.

كانت هذه أولى مراحل تقويض الوضع اللغوي في الجزائر وبدء سياسة الفرنسة وإحلال الفرنسية مكان العربية.

وفي الوقت نفسه تنبه الاستعمار إلى أهمية الزوايا والكتاتيب والمدارس والمساجد والزوايا في نشر اللغة والدين وتوعية الشعب الجزائري، وهي مؤسسات ثقافية مهمة للحفاظ على العربية وتعليمها بالنسبة للشعب

الجزائري سعى الاستدمار إلى تدميرها وباسم سياسة الدمج ثم العلمنة؛ حُدّدت المدارس القرآنية بدقة وروقبت مدارس الزوايا وأغلقت وأزعجت... وتناقص عدد معلمي القرآن-دارين- والمدرسين (الآخرين)،ومنذ ذلك الحين تقهقرت معرفة اللغة العربية الأدبية, إذ كانت لا تدرس" [14] فقد كانت الجزائر العاصمة وحدها تضم " قرابة 176 مؤسسة دينية سنة 1830 بين مسجد جامع ومسجد صغير وزاوية، ولم يبق منها سنة 1862 إلا67 مؤسسة ثلثاها معطل لا دور له. أما الأخرى فقد مسحت أو هدمت وتم الاستيلاء عليها وحوّلت وظيفتها لأغراض غير الأغراض التي بنيت من أجلها[15]

وقد أصدرت الحكومة الفرنسية في سنة 1850 مرسومين جديدين يخصّان المدارس العربية الفرنسية للسيطرة على التعليم الديني ومؤسساته، ومن أجل تكوين نخبة موالية للاستعمار الفرنسي تؤثر في الشعب فيما بعد من أجل خلق ازدواجية الثقافة واللغة خصوصا في منطقة القبائل.

ولإيهام الجزائريين أن فرنسا لا تنوي القضاء على الدين والعربية من أجل إقناع الشعب للالتحاق بمثل هذه المدارس وتسهيل تنفيذ مخططاتها التبشيرية والتجهيلية وسياسة التجهيل بالعربية، فقد حظيت الفرنسية بالاهتمام الأكبرواقتصر تعليم العربية على القراءة والكتابة بالدارجة مع ترجمة العربية إلى الفرنسية والفرنسية إلى العربية، وقد كان هدفهم من وراء ذلك أولا وقبل كل شيء هُوَ تعليم الفرنسية وجعلها لغة رسمية في الجزائر كما أعلن كُومْب"Comp" في مجلس الشيوخ قائلاً "إن مدرستنا الجزائرية لا تعني شيئا ....إذا لم تنشر في عقول الشباب أفكارنا وتكون اللغة الفرنسية ترجمان لذلك"[16]ويضيف ديفاجسن أن ف. بوسونDivasonthat F. Boson" إن تعليم الجزائريين هو قبل كل شيء تعليم لغتنا [17]

من جهة أخرى حتى اللغة الفرنسية التي كانت تعلم للجزائريين في هذه المدارس لم تكن اللغة الفرنسية العلمية، بل لغة الشارع وقد اقتصر تعليمها على الأمور الشفوية؛ لأن الغاية منها ليست التثقيف أو التعليم بل لتسهيل العلاقات والتقارب بين الفرنسيين والجزائريين، وفي السياق ذاته قال أحد الفرنسيين "عندما يتكلم الجزائريون لغتنا - اللغة الفرنسية –يصبحون نصف فرنسيين"[18].

كما سعى الاستعمار إلى تصعيب التعليم على الجزائريين من خلال سن قوانين و مراسيم تصعب على الجزائريين التعليم العربي ففي24-12-1904 صدر قانون فرنسي "يمنع فتح أية مدرسة لتعليم القرآن إلا برخصة من السلطات, وإذا ما سمح بفتحها تبعا للشروط السابقة فإنه يمنع عليها تدريس تاريخ الجزائر وجغرافيتها[19]على أن توظيف أي معلم مسلم لا يمكن أن يكون إلا إذا كان مرخصا من عمالة الولاية، وبعد عام من هذا المرسوم الذي صدر، أصدر قانون آخر في: 29-03-1908 ينصّ على إلغاء التعليم الابتدائي الأساسي بالنسبة للأطفال الجزائريين بحجة أنه مضر بالمصالح الفرنسية والاقتصادية .

وكخطوة جريئة في مسار مشروع التطبيع اللغوي أصدرت مرسوم شوطان 08-03-1938 الذي يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية عن الجزائر ومنع تدريسها وإحلال الفرنسية مكانها في كل مناحي الحياة ،ولم تكتف السياسة الفرنسية بفرنسة التعليم فقط بل إلى تغيير وجه الجزائر العربي بتغييرها لأسماء القرى والأحياء والشوارع والساحات وأطلقت عليها أسماء فرنسية ،مثل مدينة شلف التي كانت تسمى سابقا (orleanville) مدينة سكيكدة التي كانت تدعى Philippeville،كما أنشئ سجل مدني في عام 1882 يعد قهرا للجزائريين وتعدٍ على أصولهم الحقيقية الذي يقضي بتغيير أسامي الجزائريين وكنياتهم إلى ألقاب وأسماء جديدة لزمتهم إلى آخر الزمان[20].

أما الصحافة التي حاول كثير من المفكرين الجزائريين الاستعانة بها لنشر الوعي والحفاظ على اللغة العربية من خلال حث الشعب على القراءة، فقد تعرضت هي الأخرى إلى حملات توقيف ومصادرة كلما أحست السلطات الاستعمارية أنها تشكل خطرا عليها واستبدالها بإعلام مغلوط وسياسات التبشير والتنصير.

ج-توصيف الواقع اللغوي أثناء الاحتلال إثر السياسة اللغوية الفرنسية: نتج عن السياسات اللغوية الفرنسية انتشار الجهل والأمية بشكل لا مثيل له، بحيث ورثت الحكومات الجزائرية المتعاقبة وضعا ثقافيا مزريا، كما أفرز الوضع ظهور ثلاث نخب[21]:

-**النخب المفرنسة:** وهُم خريجو المعاهد والجامعات الفرنسية يتحدثون الفرنسية ويؤمنون بفرنسا الأم فكريا وحضاريا .

-**النخب الأمازيغية:** التي تزيد عن النخب المفرنسة في مطالبتها بترقية الثقافة واللغة الأمازيغية بدل العربية التي ينظر إليها كاللغة محتل يجب إزالتها عاجلا أم آجلا.

النخب المعربة: خريجة المدارس العربية الأهلية الخاصة والجامعات التقليدية نخب مشبعة بالفكر النهضوي والحفاظ على العربية .

حيث آثرت هذه النخب فيما بعد الاستقلال في تحديد الخارطة اللغوية وتعدد اللغوي في الجزائر بين عربية وعامية وفرنسية .

3-الواقع اللغوي الجزائري:

يتسم المشهد اللغوي في الجزائر بحالة من الغليان اللغوي والصراع اللساني في ظل الزحف المتنامي للغات الأجنبية، الفرنسية غلى وجه الخصوص"في مختلف مجالات الثقافة والإعلام والتعليم والتربية ومنازعتها للفصحى على الفكر وسوق الاستعمال اللغوي الجزائري.

وعلى الرغم ما تثبته الوثائق الرسمية من اعتبار للغة العربية اللغة الأولى في البلاد كما هو مصرح به في الدساتير، والمواثيق الوطنية مثل قانون استعمال العربية رقم 91-05 المؤرخ في 6 يناير 1991 في المادة الثانية من الفصل الأول والذي ينصّ على أن "اللغة العربية مقوم من مقومات الشخصية الوطنية الراسخة وثابت من ثوابت الأمة يجسد العمل بها مظهرا من مظاهر السيادة واستعمالها من النظام العام "[22]فإن الواقع يسجل شرخا عميقا بين ما ينصّ عليه القانون ومستوى التطبيق لهذه المادة، وهو الأمر الذي يحتاج إلى التعجيل بتسويغ سياسة لغوية صارمة تحتوي الأمر"فواقع الأمر أن الجزائري يجد نفسه يدافع عن الفرنسية باعتبارها غنيمة حرب، ولغة فرضت نفسها فلا يمكن التخلي عنها ،ولا يعطي الأهمية التي تستحقها اللغة الرسمية ولا اللغة الوطنية ، ولا الإنجليزية باعتبارها لغة العالم الأولى المنطوق بها [23]

عود على بدء إن رصد الواقع الاجتماعي الجزائري ومختلف التغييرات الطارئة على الساحة اللغوية في البلاد، يسجل اليوم فوضى لغوية سببها الهروب من اللغات الأم واللجوء إلى لغة الأجنبية، كبديل لحل المشاكل اللغوية من جهة وتبني لغة المحتل القديم كرمز حضاري مقابل استصغار اللغة الأم، التي لا تمثل سوى وسيلة تستعمل للتعليم، ولعل هذه المؤشرات تنبئ بأن العربية في الجزائر تدق ناقوس الخطرفي ظل خطر التعدد اللغوي اللهجي وهيمنة اللغة الأجنبية الفرنسية على السوق اللغوية الشفوية والكتابية، ويجمل الدكتور صالح بالعيد الوضع اللساني في الجزائر فيما يلي:

1-**اللغات ذات الانتشار الواسع** : العاميات أو الدارجات العربية، وهي متنوعة ولكنها تتحكم إلى قواسم مشتركة .

2-**اللغات المحلية** : الأمازيغية بمختلف تأديتها ولهجاتها .

3-**اللغات الكلاسيكية**: العربية الفصيحة واللغة الفرنسية.

وبتعبير آخر فإن الخريطة التعبيرية في الجزائر حسب الدكتور صالح بالعيد "تتميز بانتشار ثلاث لغات متعايشة؛ الأمازيغية بلهجاتها المختلفة واللغة العربية بنوعيها (الفصحى والدّارجة) واللغة الفرنسية، حيث تستقطب العاميات والدارجات العربية المتنوعة أكبر فئة من المجتمع الجزائري لتليها اللغة الأمازيغية بمختلف لهجاتها، وفي المقابل الآخر تبقى العربية الفصيحة أقل استعمالا إلى جانب الفرنسية [24]

ولا غَرْوَ بالقول إنّ هذا المزيج اللغوي اليوم قد أمسى ينافس العربية في البلاد وينازعها بوصفها لغة رسمية على الفكر والسيادة، حيث أصبحت لغة التعامل والاستعمال اليومي لشريحة كبيرة من المجتمع الجزائري ليطال الأمر حتى مجال التعليم، وإن كانت هذه الظاهرة ليست بوليدة الأمس القريب في الجزائر، إلا أنها سجلت انتشارا واسعا بصورة تدعو للقلق في السنوات الأخيرة، وأضحت خطرا محدقا يحيط بالعربية ويهدد المواطن الجزائري بسلب هويته العربية التي تشكل اللغة العربية أبرز مظاهرها، فأمسى الجزائري ينظر

إلى لغته بعين التخلف ولغة المحتل بعين التحضر، مما يعزز في ذهنية النشء حب اللغة الثانية والرغبة الملحة في تعلمها والتعامل بها في مواقف التواصل اليومي، وفي المقابل تجده يمارس وضعية النفور من لغته الأم وإهمال اكتسابها.

ولعل ميدان التعليم من أبرز الميادين التي تبرز الشرخ اللغوي الذي تعانيه البلاد، إذ يشكل هذا القطاع أكثر المجالات التي تعكس تدهور الوضع اللغوي في البلاد، كيف لا وهو من أهم القطاعات الحساسة المؤمل عليها في النهوض باللغة العربية، واسترداد مكانتها المسلوبة وتحقيق الانبعاث اللغوي خاصة وقد أريد لها أن تعاني من والتلاشي والموت المحقق، الذي تعمل عليه الجهات المعادية للعروبة والإسلام من خلال الحرص والعمل على تنفيذ مخططاتها الشنيعة لضرب العربية «باعتبارها رافعة اقتصادية وتنموية علاوة على كونها وعاء ثقافيا للخصوصيات الفاعلة"[25]ورمزا للتماسك القومي والعربي تحت مظلة العولمة والانفتاح الحضاري.

بناء على ما سبق فإن مثل هذا الوضع اللغوي هو مدعاة إلى إثارة جدل وتنافر بين أوساط النخبة إلى قضية الهوية والانتماء في علاقتهما باللغة، تنفجر من حين إلى آخر تلك القنابل الموقوتة التي زرعها الاستعمار القديم والجديد في ثوبه الحداثي،على درب البناء الوطني والمسيرة القومية، وذلك على شكل صراعات تحركها جهات وتوجهات لغوية، وثقافية متباينة أو في صورة سياسات تربوية تغرب الأجيال الناشئة من مكانها تارة وزمانها تارة أخرى[26]

يمكننا القول إن هذه الفسيفساء اللغوية هي ناتج حتمي بالعودة والنظر إلى تاريخ البلاد فإن المسألة اللغوية في الجزائر وما آلت إليه اليوم، إنما هو جرّاء ظروف تاريخية قاهرة شهدتها البلاد، واختيارات سياسية مدبرة ومسطرة من لدن أعداء العربية لترسيخ الثقافة الفرنكوفونية تحت مظلة الانفتاح الحضاري، والعولمة اللغوية الثقافية التي تقضي بتعلم لغات الحضارة مقابل تناسي اللغات التي لا تصلح لغة التقدم والرقي والتي صنفت العربية من أبرزها.

خاتمة:

لم يكن هدف الاستعمار الفرنسي من فرضه سياسة التطبيع اللغوي المجحفة آنيا يرتبط بفترة الاستعمار والاحتلال، بل كانت أهدافه الارتهان لفكره ولغته والافتراس اللغوي للشعوب المحتلة حتى بعد استقلالها، إذ لا تزال خيوط الامبريالية الفرنسية بثوبها المستحدث تواصل تطبيق أيديولوجيتها في تحطيم ما تبقى من الذات والهوية المسلوبة، من خلال أشكال الهيمنة اللغوية والفكرية والثقافية، وتكريس فكرة الثقافة والحداثة والتحضر للمركز القوي المتمدن، بل وأكثر من ذلك من خلال السعي إلى تسويغ وتعشيش التبعية وإقباعها في القاع الفكري للمثقف العربي، ولاشك في أن الافتراس اللغوي وتغريب العربية عن أهلها ونشر العامية واستفحالها على السنة الجزائريين راجع لسياسات التجهيل والإقصاء والاخصاء اللغويين، أثناء وبعد

الاستعمار الفرنسي حيث نُلفي الفرد الجزائري اليوم يتحدث خليطا هجينا لا بعربي ولا فرنسي، لا يتحدث عربية سلمية ولا فرنسية مفهومة، بل خليطا لغويا يسيطر على السوق الشفوية، بل حتى الجانب الكتابي للغة أضحى يُكتب ويتواصل في الرسائل النصية ومواقع التواصل الاجتماعي بالأحرف الفرنسية وطال الأمر حتى اللافتات والإعلانات الإشهارية للمحلات والأسواق، تكتب بالعربية المفرنسة في محلات والعديد من مظاهر استفحال الازدواجية والتعدد اللغوي، التي أرهقت ذوي الشأن في إيجاد حلول للإلمام بالوضع الذي بات من الضروري وضع خطة وتسويغ سياسة لغوية له تقضي بخيار وتخطيط لغوي متجانس تعيد للعربية مكانتها بين أهلها .

إحالات البحث

[1] -- يراجع الموقع :-https://www.qiraatafrican.com/home/new/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D9%87%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D9%88%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%A5%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7-%D9%85%D8%B3%D8%A7%D8%B1-%D9%88%D8%B9%D9%88%D8%A7%D8%A6%D9%82#sthash.aXWj3BQP.dpbs تم الإطلاع يوم 2020/3/26 على الساعة 17:20

[2] -HEINE ،Bernd & NURSE ، *Derek ،Africanlanguages ،Paris ،Karthala ،2004،p:*

[3] -Référence précédente, p:120

[4]- يراجع الموقع -https://www.qiraatafrican.com/home/new/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D9%87%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D9%88%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%A5%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7-%D9%85%D8%B3%D8%A7%D8%B1-%D9%88%D8%B9%D9%88%D8%A7%D8%A6%D9%82#sthash.aXWj3BQP.dpbs تم الإطلاع يوم 2020/3/26 على الساعة 17:47.

[5]- ينظر لويس جان كالفي : علم الاجتماع اللغوي تر: محمد يحياتين ، دار القصبة للنشر الجزائر ،دط، 2006 ص: 111

[6]- ينظر: طيبي غماري خمسون سنة من التعدد اللغوي في المدرسة الجزائرية صراع هويات ينتهي إلى الأمية مجلة المواقف للدراسات والبحوث في المجتمع الجزائري منشورات جامعة معسكر العدد السابع ديسمبر 2012 ص49.

[7]- عبد القادر حلوش سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر هامش الصفحة :26

[8]- تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الوطنية من (1930-1956) دراسة تربوية للشخصية الجزائرية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1976، ص106.

[9]- عبد القادر حلوش سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر هامش الصفحة :179.

[10]- عبد القادر حلوش سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ، شركة دار الأمة ، طبعة 2013 الجزائر هامش الصفحة 26.

[11]- ينظر المرجع نفسه ص:64.

[12]- ينظر: عبد القادر فضيل محنة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي ومعاناتها بعد الاستقلال " مجلة اللغة العربية عدد ممتاز المجلس الأعلى للعربية ص 235.

[13]- ينظر خولة طالب الإبراهيمي الجزائريون والمسألة اللغوية تر: يحياتين محمد دار الحكمة ، الجزائر 2008، ص28.

[14]- ينظر:رابح تركي التعليم القومي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ط1981،2، ص: 131.

[15]- ينظر آجرون ،ش،ر: تاريخ الجزائر المعاصرة ، ترجمة عيسى عصفور منشورات عويدات 1982،بيروت ص:106

[16]- ينظر: الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الاحتلال، مجموعة كتاب. 1971. منشورات المركز الوطني للدراسات و البحوث في الحركة الوطنية .طبعة خاصة لوزارة المجاهدين.

[17]- ينظر عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ص:181.

[18]- المرجع نفسه ص:63

[19]- ينظر عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ص:181.

[20]- ينظر :تركي رابح, الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر 1970, ص: 151.

[21]- ينظر: طيبي غماري خمسون سنة من التعدد اللغوي في المدرسة الجزائرية صراع هويات ينتهي إلى الأمية مجلة المواقف للدراسات والبحوث في المجتمع الجزائري ص: 54.

[22]- صالح بالعيد قضايا التربية ، دار الخلدونية ،ط1 الجزائر 2009 ،ص:182،181.

[23]- المرجع نفسه ص:نفسها .

[24]- صالح بالعيد قضايا التربية ، دار الخلدونية ،ط1 الجزائر 2009 ،ص:181،.

[25]- ينظر:عبد القادر الفاسي الفهري ، دعم اللغة العربية تعزيز للهوية القومية والتنمية المجتمعية ،مجلة الثقافة تونس : 2004 مجلة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، عدد خاص دور الثقافة العربية في الحفاظ على الهوية ص:165.

[26]- عبد اللطيف عبيد المسألة اللغوية في المغرب العربي جذورها وأثرها في تشكيل الهوية وتحديد الانتماء مجلة الجامعة المغاربية ليبيا : 2007 منشورات الجامعة المغاربية العدد 2، ص20

مراجع البحث

1. آجرون ،ش،ر.ترجمة :عيسى عصفور،1982، تاريخ الجزائر المعاصرة ، عويدات ،بيروت
2. تركي رابح،1976 التعليم القومي والشخصية الوطنية من (1930-1956) دراسة تربوية للشخصية الجزائرية .الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر.
3. تركي رابح.1970الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر.
4. خولة طالب الإبراهيمي.ترجمة :يحياتين محمد،2008 الجزائريون والمسألة اللغوية دار الحكمة ، الجزائر.
5. رابح تركي التعليم القومي،1981، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،ط1981،2،.
6. صالح بالعيد ،2009، قضايا التربية، الطبعة الأولى، دار الخلدونية، الجزائر.
7. طيبي غماري،ديسمبر 2012، خمسون سنة من التعدد اللغوي في المدرسة الجزائرية صراع هويات ينتهي إلى الأمية مجلة المواقف للدراسات والبحوث في المجتمع الجزائري،إصدار جامعة معسكر العدد السابع.
8. عبد القادر الفاسي الفهري وآخرون، 2004 ، دعم اللغة العربية تعزيز للهوية القومية والتنمية المجتمعية ، مجلة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، عدد خاص دور الثقافة العربية في الحفاظ على الهوية، تونس.
9. عبد القادر حلوش، 2013، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، شركة دار الأمة ، الجزائر.
10. عبد القادر فضيل وآخرون 2005، محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي ومعاناتها بعد الاستقلال، مجلة اللغة العربية، عدد ممتاز، (العربية من محنة الكولونيالية إلى إشراقة الثورة التحريرية)، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.
11. عبد اللطيف عبيدو آخرون،2007، المسألة اللغوية في المغرب العربي جذورها وأثرها في تشكيل الهوية وتحديد الانتماء، مجلة الجامعة المغاربية إصدارات الجامعة المغاربية العدد 2، ليبيا.
12. لويس جان كالفي، ترجمة :محمد يحياتين،2006، علم الاجتماع اللغوي، دار القصبة للنشر الجزائر.
13. طرشون نادية، 2007، الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الاحتلال، المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية .طبعة خاصة لوزارة المجاهدين.